

صفات المرأة في أدب العقاد

أستاذ مشارك- كلية التربية- جامعة الزعيم الأزهرى

د. إمتثال عبد الماجد عمر

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة صفات المرأة في أدب العقاد، حيث أوضحت أن العقاد قد عرف أكثر من نوع واحد من النساء، فقد عرف المرأة أمّاً وأختاً، وعرفها موضع دراسة أقام عليها دراساته التي استخلص من خلالها آرائه فيها، ثم عرفها معشوقة تأخذ بمجامع قلبه، وقد هدفت الدراسة إلى: توضيح آراء العقاد في المرأة من خلال أدبه، وتبيين أن النساء اللاتي عرفهن العقاد كن سبباً لاستنتاج هذه الآراء وتعميمها على جميع النساء. تتبلور مشكلة الدراسة في هذه الورقة من أن الباحثين لم يتعرضوا لفلسفة الحب عند العقاد وآرائه المختلفة حول المرأة، منصبه النفسي-الرد على هذه الآراء، وتبرز أهمية هذه الورقة في تصحيح ما نسب إلى العقاد من آراء حول المرأة وتعميمها على موقفه منهن جميعاً، وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى ما هدفت إليه من نتائج.. معتمدة على أمات المصادر والمراجع والدواوين الشعرية- ثم خُتمت الدراسة بخاتمة احتوت أهم النتائج والتوصيات والتي كان من أبرزها إن العقاد التزم موقفاً واحداً من النساء جميعاً فلم تتنوع مواقفه بتنوع عرفهن.

الكلمات المفتاحية: صفات، امرأة، أدب، أخلاق

Abstract:

The study handled the woman's attributes in Alagad's literature, it clarified that he knew more than one kind of woman, he knew the woman as a mother and a sister, he knew her as a subject of study where he conducted his studies and extracted his views. He knew the woman as a love that he adored. The study aimed to clarify Alagad's attitudes towards the woman via his literature, and it was revealed that the women he knew were the cause for his views and generalizing them to all the women. The problem of the study is crystallized in the fact that researchers have not exposed Alagad's philosophy of love and his various views about woman. I took upon my shoulders the response to these views.

The significance of the paper is represented in correcting what was attributed to Alagad and his different views about the woman and his stand towards them. The study used the descriptive analytical method to achieve the objectives depending on genuine sources, references and collections of poems. The study concluded with a number of findings and recommendations, the most important one is that Alagad had only one stand towards all the women and his stand does not vary according to the various women he knew.

Keywords: Qualities, Mirror, Literature, Ethics

مقدمة:

قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً .. } (1)

واضح من الآية الكريمة أن المرأة (سكن) للرجل، وليس من المألوف أن يحذر إنسان عن سكنه، أو يتجافى عن الهدوء والطمأنينة فيه، ولكن الأستاذ العقاد وبحكم معرفتي به - من خلال أدبه - كثيراً ما يحذر ذلك السكن، ويتجافى عن الهدوء والطمأنينة فيه، فقد عرفته شكاكاً، يشك في المرأة حتى في أبسط الأشياء، فيصفها بصفات لا ترضاها ولا يرضاها مناصريها: كالرياء، والخيانة، ويجردها من العطف.. وبعد وقوفي على مجمل آرائه في المرأة دفعتني الغيرة على حقوق بنات جنسي أن أجمع ورقة بحثية في هذا الموضوع بعنوان (صفات المرأة في أدب العقاد). محاولة الرد على بعض آرائه في المرأة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في إثارة عدد من التساؤلات التي تحاول الورقة الإجابة عنها:

- 1- ما الصفات التي وصف بها العقاد المرأة من خلال أدبه؟
- 2- ما الأسباب التي دعت العقاد ليحكم على النساء بالسلوك السافل الدنيء؟
- 3- من من محبوباته جعلته يعمّم هذا الحكم على جميع النساء؟

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في كل مما يأتي:

- 1- كشف آراء العقاد في المرأة من خلال أدبه
- توضيح المبررات المنطقية لمواقفه من المرأة عموماً أو من بعض النساء ممن تعرف عليهن في مسيرة حياته

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الورقة لتحقيق جملة من الأهداف؛ أهمها:

- 1- توضيح آراء العقاد في المرأة من خلال أدبه
- 2- دحض تعميم آرائه على كل النساء

منهج الدراسة:

التزمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

هيكل الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على: خطة قوامها: مقدمة: تضمنت مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها، المنهجية المتبعة في الدراسة، وهيكل الموضوع حيث قُسمت لأربعة مباحث خصصت المبحث الأول لأمناء حواء والثاني لأخلاق المرأة، وكان الثالث للتفاوت بين الجنسين، والرابع وسمته بنساء في حياة العقاد ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات تشفع بقائمة المصادر والمراجع التي أُعتمدت في دراسة هذه الورقة الجدير بالذكر أن آراء العقاد حول المرأة تتركز في ثلاثة محاور كبرى، هي:

أولاً: صفاتها الطبيعية، وتشمل الكلام على قدرتها وكفايتها لخدمة نوعها وقومها

ثانياً: حقوقها وواجباتها في الأسرة والمجتمع

ثالثاً: المعاملات التي تفرضها لها الآداب والأخلاق، ومعظمها في شؤون العرف والسلوك (2)

أهنا حواء:

تحدث العقاد عن المرأة منذ أن أخرجت حواء آدم من الجنة إلى يومنا هذا، حيث تحدث عنها في كتابه المسمى (هذه الشجرة) معتمداً في ذلك على وسوسة الشيطان لحواء بالأكل من الشجرة التي نهى الله عن أكلها، فيصف طبيعتها بالولوع بالملحون والدلال و الاغواء والاعراض وسوء الظن والمراوغة والتناقض والعناد وضعف الإرادة، حيث يقول: «رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت فأعطت بعلها معها أيضاً فأكل، فانتفخت أعينهما وعلما أنهما عريانان ... ونادى الرب آدم وقال له أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت، فقال: من أخبرك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت، فقال الرب للمرأة: ماذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت ...» (3)

هذه القصة الخالدة في الأديان الكتابية، جعلها العقاد رمزاً خالداً إلى طبيعة المرأة: فهي - على حد قوله - تفعل ما تنهى عنه، وهي تغري الرجل، وفي كل من هذين الخلقين، يرى العقاد دليلاً مجملاً على خلائق وصفات مفصلة تنطوي في ذلك الرمز الكبير، معضداً حديثه في ذلك بقول الشاعر الجاهلي طفيل الغنوي:

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتَ مَعاً مِنْهَا الْمَرَارُ وَبَعْضُ الْمَرِّ مَأْكُورٌ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يَنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بَدَ مَفْعُولٌ (4)

حيث يرى أن هذا الشاعر البدوي - ابن الفطرة وابن البادية- ألهم خلاصة قصة الشجرة في بيتيه المطبوعين، وخلصتها أن المرأة تغري بأكل المر الذي لا يساغ أو لا يسوغ، وأنها تفعل ما تنهى عنه، فهو عندها (واجب لابد مفعول)، فكل خلق كامن في المرأة - عنده - يظهر في هذا الولع الممنوع (5)

ثم يواصل العقاد في أن هذه الشجرة التي أكلت منها حواء لأنها نهيت عنها، والتي طعمت منها ثم أطعمت آدم معها - هذه الشجرة هي عنوان ما في المرأة من خضوع يؤدي إلى لذة العصيان، ومن دلال

صفات المرأة في أدب العقاد

يؤدي إلى لذة الممانعة، ومن سوء ظن وعناد وضعف، واستطلاع جهل، وعجز في المغالبة ... (6) والجدير بالذكر أن هذه الصفات قد تختلف من امرأة إلى أخرى، فقد تختفي في امرأة تماماً، وقد تظهر في غيرها بنسب متفاوتة - وليس الرجل بمنأى عن بعضها.

ثم إن جل كتب التفاسير برأت حواء بل و آدم من الخطيئة وعزت الغواية إل إبليس حيث يقول الرازي في تفسير الآيات أعلاه عرضاً آراء من قال بمعصية آدم عليه السلام ثم فند هذه الآراء بالدليل والبرهان فكان من ضمن هذه الوجوه

الوجه الأول: أنه كان عاصياً والعاصي لابد وأن يكون صاحب كبيرة لقوله تعالى: « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى » (7) وإما قلنا إن العاصي صاحب كبيرة لأن النص يقتضي كونه معاقباً لقوله تعالى: « وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ » (8) الوجه الثاني: أنه كان غاويّاً لقوله: « فغوى » والغي ضد الرشد لقوله: « قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ » (9) فجعل الغي مقابلاً للرشد

الوجه الثالث: أنه تاب والتائب مذنب، وإما قلنا إنه تاب لقوله تعالى: « فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (10) وقال: « ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى » (11) وإما قلنا التائب مذنب لأن التائب هو النادم على فعل الذنب والنادم على فعل الذنب مخبر عن كونه فاعلاً للذنب فإن كذب في ذلك الإخبار فهو مذنب بالكذب وإن صدق فيه فهو المطلوب

الوجه الرابع: أنه ارتكب المنهي عنه في قوله « أَلَمْ أَنُهَاكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ » (12) « وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ » (13) وارتكاب المنهي عنه عين الذنب

الوجه الخامس: أنه اعترف بأنه لولا مغفرة الله إياه لكان خاسراً في قوله: « وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (الأعراف 23) وهذا يقتضي كونه صاحب كبيرة (14)

ثم يفند الرازي هذه الوجوه من عدة جوانب:

أولاً: إن كلامكم يتم لو أتيتم بالدلالة على أن ذلك كان حال النبوة، وذلك ممنوع فلم لا يجوز أن يقال إن آدم - عليه السلام - حالما صدرت عنه هذه الزلة لم يكن نبياً، ثم بعد ذلك صار نبياً ثانياً: لا نسلم أن آدم وحواء قبلا من إبليس ذلك الكلام ولا صدقاه فيه لأنهما لو صدقاه لكانت معصيتهما في هذا التصديق أعظم من أكل الشجرة لأن إبليس لما قال لهما: « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » (15) فقد ألقى إليهما سوء الظن بالله تعالى ودعاهما إلى ترك التسليم لأمره والرضا بحكمه وإلى أن يعتقدوا فيه كون إبليس ناصحاً لهما وأن الرب تعالى قد غشهما ، لا شك أن هذه الأشياء أعظم من أكل الشجرة ، فوجب أن تكون المعاتبة في ذلك أشد ، وأيضاً كان آدم عليه السلام عالماً بتمرد إبليس عن السجود وكونه مبغضاً له وحاسداً له على ما أتاه الله من النعم ، فكيف يجوز من العاقل أن يقبل قول عدوه مع هذه القرائن ، وليس في الآية أنهم أقدموا على ذلك الفعل عند ذلك الكلام أو بهده؟!

ثالثاً: وهو اختيار أثر المعتزلة ، أنه عليه السلام أقدم على الأكل بسبب اجتهاد أخطأ فيه ، وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة ، بيان الاجتهاد الخطأ أنه لما قيل له: « وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ » فلفظ «هذه» قد يشار به إلى الشخص وقد يشار به إلى النوع ، وروي أنه عليه السلام أخذ حريراً وذهباً بيده وقال:

« هذان حل لإناث أمّتي حرام على ذكورهم » (16) وأراد به نوعهما ، وروي أنه عليه الصلاة والسلام توضأ مرة وقال « هذا وضوءٌ لا يقبل الله الصلاة إلا به » (17) وأراد نوعه ، فلما سمع آدم عليه السلام قوله تعالى : ” وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ » ظن أن النهي إنما يتناول تلك الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة أخرى من ذلك النوع إلا أنه كان مخطئاً في ذلك الاجتهاد لأن مراد الله تعالى من كلمة « هذه » كان النوع لا الشخص والاجتهاد في الفروع إذا كان خطأ لا يوجب استحقاق العقاب واللعن لاحتمال كونه صغيرة مغفورة كما في شرعنا(18)

هذا وإذا برأت كتب التفسير سيدنا آدم من الخطيئة وعزت ذلك لإبليس فتبريته حواء من باب أولى ، ثم إذا سلمنا بأن الغواية كانت من الشيطان ، فإنها كانت لكليهما ، وأن الحديث في هذا الشأن جاء من الله تعالى بصيغة المثني في معظم الآيات { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَسَوَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ } (19)

« وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ^ط وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ⁽²⁰⁾ » والملاحظ من الآيات أعلاه أن الخطاب لم يكن لحواء بل كان لكليهما، فلم خص العقاد حواء بالخطيئة دون آدم عليه السلام، هذا ما نبرر له في المباحث المقبلة

أخلاق المرأة:

خيانة المرأة:

وصف المرأة بأنها خائنة تخون من تحب، ويصفها بعدم الوفاء من خلال قصته (سارة) حيث يقول على لسانها: (اسمع يافلان إنني لا أؤمن بصداقة المرأة للمرأة، ولا عزاء لي في معاشره الصديقات المزعومات على الإطلاق، فإن لم يكن إلى جانبي رجل أهابه، وأحبه واعتمد على سنده، فأنا في وحشة الهالكين، وأنا ضعيفة ... ضعيفة ... ضعيفة، لا طاقة لي على دفع الغواية فما هو إلا موعد أو موعدان حتى أحس كما يحس كل رجل يفهم طباع المرأة التي يهواها، إنها لم تحافظ على وفائها، ولم تحفظ جسدها أيام الغياب) (21) ومن هذا النص الذي ساقه العقاد على لسان محبوبته سارة، ندرك ما يرمي إليه وهي أن المرأة مخادعة غاوية، تفنى أمام من تحب لتوهمه أنه المقصود بفنائها، [ويصور في إحدى قصائده تجاهلها و خداعها له فيقول:

هل	درى	من	أحبه	أين	في	الحب	مطمعي
هل	معي	الآن	قلبه	مثلما	قلبه	معي	

هل	أراه	بناظري	أم	أرى	الطيب	بالرجاء
ربما	بات	زائري	وهو	في	البعد	كالسماء

صفات المرأة في أدب العقاد

ليته يكشف الضمير ليتني بالهوى أبوح
فاكشف الروض يا عبير إن عطر الهوى يفوح

شرعة القلب شرعتي ما احتياجي إلى شفيح
إن تسلني فحجتي في يدي - زهرة الربيع⁽²²⁾

[وليس في هذه الأبيات ما يشير صراحة إلى خداعها أو ارتباطها به في سلوكها، فعبر في قصيدة أخرى ارتباطها بالخداع ومدى ملازمتها له حتى صارت جزءاً من طبيعتها؛ يقول في قصيدة (المرأة والخداع):]

خُلِّ الملامَ فليس يثنيها حُبُّ الخداع طبيعةً فيها
هو سترها وطلاءُ زينتها ورياضةٌ للنفس تحيها
وسلاحُها فيمن تكيد به من يصطفها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها من طول ذل بات يشقيها
أنت الملولم إذا أردت لها ما لم يرده قضاء باريها
خنها ولا تخلص لها أبداً تخلص إلى أعلى غواليها⁽²³⁾

وقد أعجبني رد د. عبد الحي دياب على الأستاذ العقاد في مسألة خداع المرأة والدعوة إلى خيانتها إذ قال دياب: «ولست أدري ما الحكمة في الدعوة إلى خيانة المرأة؟ هل خيانتها تؤدي حقيقة للوصول إلى قلبها؟ أعتقد عكس ذلك، وذلك بأدلة العقاد نفسه، إذ قال لنا فيما سبق: إن المرأة أصدق في قوانين الأخلاق فيما توحى به الفطرة وأن كل امرأة في هذه الشؤون قادرة أن ترى الطير من مسيرة الأبد لامن مسيرة ثلاثة أيام ، وإذا صح كلام العقاد - وهو لاشك صحيح - فإنها تعرف خيانات زوجها ، وحينئذ تدعوها هذه المعرفة إلى الخروج عن حد الاعتدال ، حيث إن الوفاء حد - كما قال العقاد نفسه « (24)

التناقض من صفات المرأة:

من الصفات التي تشكل أخلاق المرأة - كما يرى العقاد - التناقض، والتناقض عنده خلة لا مناص منها في تكوين المرأة خاصة، لأنها خلة ملازمة للأنوثة في الزم لوازمها، وهما: الأمومة والحب بشتى معانيه، فاللذة والألم نقيضان في كل كائن حي، لكن هما يمشيان سوياً في أحساس المرأة فتجمع بينهما اضراً من حيث تريد ومن حيث لا تريد إذ إن أسعد ساعاتها هي الساعة التي تتحقق فيها أنوثتها الخالدة وأمومتها المشتهاة، وهي ساعة الولادة (25)

ففي تلك الساعة يغمرها فرح لا يوصف إذ هي تتجب ذلك المخلوق الحي الذي صبرت على حمله حتى أسلمته إلى الدنيا راضية مرضية، ولكنها مع هذا هي أشد ساعات الآلام والأوجاع في جسد الأم الطريح بين الموت والحياة. فالنقيضان في إحساسها يلتقيان ويتجاوران، فيمتزجان أحياناً فلا ينفصلان. ومن هنا تراها في غبطة وهي تعاني الألم، وتراها في ألم وهي تختلج بالسرور⁽²⁶⁾ ويفسر لنا سر هذا التناقض بأن المرأة خُلقت يتنازعها إحساسان: إحساس العاشقة والوالدة، فإذا تنبه فيها إحساس العاشقة، رأيت فيها

مراما بعيداً وسرها أن يكون مستعلياً على خصومه، وإذا تنبه فيها إحساس الأمومة آثرت الرفق وودت لو أن الأرض كلها رخاء (27)

ثم إن العقاد يرى أن هناك حالتان تضاعفان ظهور التناقض عند النساء الا وهما طبيعة المراوغة: في تراوغ وتدلل لأن قيمتها موقوفة على غيرها أو معلقة بنظرة غيرها إليها ... فهي تحب أن تعرف قيمتها، ولا تعرف قيمتها إلا بمقدار ما تكلف الرجل من الصبر عليها واحتمال الدالة المحببة منها والدلال والمراوغة نوع من الإباء، أو نوع من المخالفة والعصيان، وإغراء بتكرار الطلب وتكرار الممانعة ... يتمننَ وهنَّ الراغبات

طبيعة الاستغراق في الساعة التي هي فيها ونسيان ما قبلها وما بعدها، فيبلغ العجب أشده بمن يراقبها أن يراها تنتقل بين أطوارها كما ينتقل الممثل بين أدواره ولا يخلط بينها ولا يستبقي من سوابقها بقية في تواليها. فمن المشاهد أن الرجل إذا قضى يوماً أو أسبوعاً في مناداة اسم من الأسماء - لا سيما نداء المفاجأة - أخطأ فسبق به لسانه في محلة أخرى لا يود أن يذكره فيها، بل لعله يود أن يكتمه ولا يومئ إليه. وقلما يشاهد هذا في محادثات المرأة ولو تلاحقت بين ساعة وساعة، لأن الساعة التي هي فيها تستولي عليها فلا يزل لسانها بالإشارة إلى غيرها، لأنها تستعين هنا بطبيعتين أصليتين فيها، هما: طبيعة النفاق، وطبيعة الاستغراق (28)

الذي عندي أن العقاد قد أصاب في الحاق صفة التناقض بالمرأة، إذ لا بد من التناقض في طبع الأنثى لأنها شخصية حية خاضعة للمؤثرات التي تتناولها من عدة جهات، فهي مستجيبة للأثر الحاضر، وقد تبدوا الآثار الحاضرة من كل صوب لا من صوب واحد

فالمرأة من جهة عضو في بيئة اجتماعية هي: الأمة أو المدينة أو القبيلة، فهي هنا زوجة أو بنت أو أخت أو صاحبة عمل، تجمعها بتلك البيئة الاجتماعية صلة العرف والشريعة والمرأة من جهة انثى لها تركيب حيوي يربطها بمخلوق آخر لا يتم وجوده بغيره والمرأة من جهة أخرى أم تحب أبنائها بالغريزة والإلفة، وتصر في سبيلهم على مشقات وآلام يؤدها الصبر عليها في غير هذا السبيل وهي بعد هذا كله كائن حي من حيث هي وليدة الحياة في جملتها أياً كان هذا النوع الذي تنتمي إليه، والأمة التي تعيش بينها، والعلاقة التي تجمعها بالزوج أو الأهل أو البنين وقد تختلف عليها هذه الوجوه جميعاً، فلا مفر لها من التناقض معها، لأن مقاصد الفرد المستقبل والأنثى المفتونة والأم التي تنسى نفسها في حنانها، والكائن الاجتماعي الذي يرضى مطالب العرف والشريعة، أو الكائن الحي الذي تهزه الحياة بهذه النوازع كما يهزه بما عداها- كل أولئك يختلف ويتناقض لامحالة، ولا يتأتى التوفيق بينه إلا في الندرة العارضة.

المرأة والرياء :

ومن صفات المرأة التي تشكل أخلاقها - عند العقاد - الرياء، وله في مسألة رياء المرأة آراء قديمة قدم كتابه (الإنسان الثاني) حيث ذهب فيه إلى أن المرأة اشتهرت بالرياء، وهو من علامات ضعف الثقة بالنفس، فتتظاهر بما يروق للناس ويوافق آرائهم ارتياباً منها في نفسها واستصغاراً لرأيها فالعقاد يرى أن الأداة البالغة من أدوات الإغواء والإغراء هي قدرة المرأة على الرياء والتظاهر بغير

صفات المرأة في أدب العقاد

ما تخفيه، فهذه الخصلة قد تسمو فيها حتى تبلغ رتبة الصبر الجميل والقدرة على ضبط الشعور ومغالبة الأهواء، وقد تسفل حتى تعافها النفوس كما تعاف أقبح الخصال والنفاق، وقد أعانتها عليها روافد شتى من صميم طبيعة الأنوثة

فمن أسباب القدرة على الرياء أن المرأة قد رِيضت زمناً على إخفاء حبها وبغضها، لأنها تخفي الحب أنفة من المفاتحة به والسبق إليه، وهي التي خُلقت لتتَمنع وهي راغبة، وتخفي البغض لأنها محتاجة إلى المداراة كاحتياج كل ضعيف إلى مداراة الأقوياء

ومن أسباب القدرة على الرياء أو القدرة على ضبط الشعور - كما تحلو تسميتها له - أن مغالبة الآلام قد عودتها مغالبة الخوارج النفسية مادامت في غنى عن مطاوعتها والكشف عنها

صفات أخرى:

ألحق العقاد بالمرأة صفات هي بريئة منها في كثير من الأحيان ، فيجردها من صفة جُبِلت عليها منذ الأزل ألا وهي (صفة الحياء) ، يقول العقاد : « من ضلال الفهم أن يخطر على البال أن الحياء صفة أنثوية ، وأن النساء أشد استحياء من الرجال ، والواقع أن المرأة لا تعرف الحياء بمعزل عن تلك الغريزة العامة ، وأن الرجال يستحون حيث لا تستحي النساء ، فيستترون في الحمامات العامة ، ولا تستتر المرأة مع المرأة إلا لعب جسدي تواريه ... ولا تستر المرأة للفطرة شيئاً يمكنها أن تبديه، إذا كان في عرضه مجلبة للنظر والاستحسان »⁽²⁹⁾

وحقيقة الأمر أن هناك فئة من النساء من هذا النوع، وقد تكون هذه الفئة ممن عرفهن العقاد، ولكن ليس معنى هذا أن يعمم العقاد حكمه على جميع النساء، لأن لكل قاعدة شواذ ويرى العقاد أن المرأة جاهلة مستبدة، وحتى النظافة التي جبلت عليها منذ زمن بعيد - يجردها منها، ويرى أن المرأة تنتظف بإعزاز من الرجل وإرضائه،⁽³⁰⁾ ولا يتوانى العقاد من إلحاق الصفات المرذولة بالمرأة، فيها هو ذا يجردها من الشجاعة، وهو بذلك يخالف بعض ما عرفت به النساء في الواقع من ذلك أن بعض النساء تمتعن بشجاعة وقوة إرادة فاقت الرجال، وإن كانت السمة الغالبة عليهن الاحجام، مما جعل الرجل - الذي بفطرته، حب السيطرة - يحظر عليها ما حباها الله به، ويناديها بالرجوع عن رأيها، ويجعلها قابعة في المنزل، وإذا أرادت الخروج عن هذه الدائرة الضيقة ظن بها الظنون.

ثم يصف العقاد المرأة بأنها ضعيفة ، وعند العقاد أن الولع بالميمون والعناد خلاصة طبائع المرأة التي تنمي إلى أسباب كثيرة لا تنحصر في سبب واحد ، ولكن السبب الأكبر أنها تُؤمر وتُنهى ، وأنها تُؤمر وتُنهى لأنها أضعف من أمرها وناهيها ، ولاتزال معه أبداً بين لذة الخضوع ولذة العصيان ، ولعلها لا تعصي إلا لتعود كرة أخرى إلى خضوع أعمق وأشهى من خضوع البداية ولا تولع المرأة بالميمون لأنها محكومة وكفى، أو لأنها محكومة لضعفها واعتمادها على من يمنعها ، بل هي تولع بالميمون لأنها تتدلل ولأنها تسيئ الظن ولأنها تعاند ، ولأنها تجهل وتستطلع ، ولأنها موهونة الإرادة لا تطيق الصبر على محنة الغواية والامتناع . وكل أولئك عنوان لخصلة أخرى من ورائها، هي خصلة الضعف الأصيل⁽³¹⁾ وإن العطف الذي تُعامل به إنما هو ناتج عن ضعفها ، وعندي أن هذا الرأي فيه الكثير من التعسف ، وإن نادى الشرائع الإسلامية بحسن معاملتها للمرأة فهذا لا يعني التقليل من شأنها أو أنها ضعيفة - كما يزعم العقاد بل على العكس فهو عزة

لها وكرامة ، فالله سبحانه وتعالى يقدرها حق تقدير فقد أكد الإسلام على دور المرأة في الحروب ومشاركتها للرجل في ذلك بما يتلاءم مع طبيعتها؛ فالمرأة تستطيع مشاركة الرجل في المعارك من خلال الاعتناء بالجرحى والعناية بهم، كما سجّل التاريخ مشاركة بعض النساء في المعارك من خلال القتال كما فعلت نسيبة بنت كعب المازنية التي زادت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم معركة أحد . ومن مظاهر تكريم الإسلام كذلك للمرأة أن أكد على حقها في التعليم؛ سواءً كان بتحصيل العلم أو تعليم الناس، ومثال على ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت تعلم الناس علوم الفقه والشريعة رضي الله عنها وأرضاه، فالمرأة إذن صانعة الأجيال وملهمة الرجال.

ويستطرد شاعرنا في وصفه للمرأة، حيث يلحق بها صفة العناد، فهي عنيدة تفعل ما تُتهي عنه وتنتهي عما تُؤمر به، وهي تغري الرجل، وعنده أن كل ولع كامن في المرأة يظهر في الولوج بالممنوع (32)، مستنداً في ذلك على قول الشاعر الجاهلي (طفيل الغنوي)

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتَ مَعاً مِنْهَا الْمَرَاؤُ وَبَعْضُ الْمَرِّ مَأْكُولُ
إِن النِّسَاءَ مَتَى يَنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بَدَ مَفْعُولُ

ونراه يعزي سبب عنادها إلى أنها محكومة؛ وأن من دأب المحكوم أن يحن إلى التمرد والمخالفة، ويتلذذ العصيان للمسيطرين عليه؛ حتى يثبت وجوده. والذي عندي أن تمرد المحكوم على حاكمه صفة تشمل الرجال والنساء على حد سواء لا النساء فقط كما يقول العقاد

التفاوت بين الجنسين: المرأة والجريمة؛

ويذهب العقاد إلى المقارنة بين المرأة والرجل في كثير من الأمور، ففي مسألة الإجمام مثلاً، يقول الأستاذ: إن المرأة ليست بأسلم جانباً من الرجل في هذا الجانب، لأنها أميل منه إلى الشحناء والشجار، ولقد أغناها عن أن تكون مجرمة بنفسها أنها تجرم بيد الرجل، لأن أكثر الجرائم إنما يقع بسببها ولأجلها، فهي تدرك ما تشاء من الجريمة دون أن تتحمل تبعاتها، وقلما تقع مصيبة أو كارثة - في رأي العقاد - إلا وكانت وراءها امرأة، فهي وإن كانت أقل من الرجل عبثاً فليس أقل منه خطايا وآثام (33) والمرأة وإن أجمت، إلا إن إجرامها في الواقع دون إجرام الرجل، وليس هناك أدنى مقارنة بين نسبة إجرام الرجل وإجرام المرأة، أيّاً كان السبب في ذلك. ومن الغريب أن العقاد يجعل المرأة تجرم بيد الرجل. ولا يفعل الرجل ذلك إلا إذا وصل به الضعف أمامها بحيث لا يملك نفسه فتشكله المرأة على حسب هواها، فتجعله مجرماً!!

هذا ، ويستمر العقاد في ربطه بين المرأة والرجل في كل شيء كأنها كلبه الأمين ، فهي عنده لا تستطيع أن تؤدي في حياتها أبسط الأدوار التي يقوم بها الرجل ، ثم يقول مجيباً على من يعزون سبب تفوق الرجل على المرأة بأن المرأة كان محجور عليها في القرون الماضية - يقول : إن الحجر نفسه دليل على التفوق ، ثم يستطرد أن المرأة لم يكن محجور عليها في طبخ الطعام بل زاولته قبل الرجل بألوف السنين ، ولكنه تفوق عليها ، كذلك الحال في استعمال أدوات الزينة ، حيث إن المرأة تلجأ إلى الرجل في أفانين التزيين (34) يقول في ذلك : « فالمرأة لا تبتدئ ولا تبتدع في صناعة من الصناعات أو فن من الفنون ، وإن طال عملها فيه وانقطعت له أحقاباً بعد أحقاب . فإن شاركها الرجل في الطهي أو الخياطة أو النسيج أو التزيين أو التجميل

صفات المرأة في أدب العقاد

- وهي صانعتها التي غبرت على مزاولتها مئات الأحقاب - كان له السبق بالتجويد والافتتان، واستطاع في هذه الصناعات نفسها أن يستأثر بإقبال المرأة وثقتها دون أن ينافسها فيها من النساء. » (35)

ثم يستطرد العقاد في مقارنته بين مقدرة المرأة ومقدرة الرجل في شتى المجالات إذ يقول : ولا ينكشف قصور المرأة وتفوق الرجل عليها في فن من الفنون ، كما ينكشف في فن الغناء والموسيقى على الإجمال ، فقد ظنَّ خطأ أن الغناء صناعة نسائية ينبغي أن تحذقها المرأة كما يحذقها الرجل أو تربي عليه ، وقد سنحت لها فرص الحذق والاتقان في هذا الفن بين القصور وفي الأكواخ والأسواق ، فلم يؤثر لها ابتكار في التلحين ولا اختراع في الآلات ولا افتتان في معاني التعبير بالألحان والأصوات ، إذ الواقع أن الابتداء بالغناء خاصة من خواص الرجل لامتدنى لتفوق النساء فيها (36) وقد أعجبني جداً تبرير العقاد لتفوق الرجال على النساء في مسألة الغناء لأنه فعلاً « كل ميسر لما خلق له » يقول: « ولهذا يستوفي صوت الرجل نماءه بعد البلوغ ويعظم تجويف صدره وتكمل أوتار حنجرتة وتتم له عدة المخارج الصوتية حينما تتم له مقومات الرجولة وممتلكاتها... وينعكس الأمر إذا سلب هذه المقومات والملكات، فتضعف حنجرتة وتضيق كتفاه ويشبته صوته بأصوات النساء والأطفال، وقلما يظهر التغيير على مخارج المرأة الصوتية بعد المراهقة أو بلوغها مبلغ النساء (37) وخلافاً لما ذهب إليه العقاد؛ لم يكن عدم تفوق المرأة على الرجل قصوراً منها، ولكن الأهلية التي وضعها الله لكل من الجنسين تختلف وظيفتها حسب كل جنس، فتفوق الرجل فيما يناسب طبيعته، بينما تفوقت المرأة فيما يناسبها، فلو قام الرجل مثلاً فادعى أنه يستطيع أن يزاحم المرأة في الحمل والولادة والرضاع، لقام في وجهه مكذب من تركيب الجسم ونظام أجهزته وأعضائه

ولا يفوت أستاذنا العقاد أن يطرق باب المرأة كعامل وأديبة وينكر براعتها في الأدب وفي شعر المرآئي على وجه الخصوص، فعنده أن المرأة منذ القدم كانت تنوح وتبكي وتطيل الرثاء والحداد وترثي موتاهها، لكن مع ذلك لم نجد في الآداب العالمية مرثية من نظم شاعرة تضارع مرآئي الفحول من الشعراء، الذين لم ينقطعوا للرثاء ولم ينظموا فيه إلا عرضاً. والذي عندي أن الشاعرة التي فاقت الرجال في شعر المرآئي موجودة، وليس لنا أن نهضمها حقها، ألا وهي الخنساء. وهو وإن أنكر براعة المرأة في الأدب والفنون فإن قريحته أوحى له أن يكتب عن أم كلثوم قائلاً:

أم كلثوم يا بشير	أ من الله بالرجاء
انت من وحيه	ولله في الفن أنبياء
ذلك الصوت صوتك الع	ذب من عرشه نداء
فيه سر من جنة ال	خلد لكننه ضياء
فيه ما يرفع الحجاب	ويكشف الغطاء (38)

ولا يفوتني في ختام هذا المبحث أن اسرد نصاً لأحد بنات حواء الذي اعتبره العقاد غروراً لكنني أراه عين الصواب، يقول: « ليس إلا غرور كغرور بنت حواء يزين لها أن تقول للرجل : أنا ربة الجمال وصاحبة القوة فوق الجمال، أسعى سعيك وأدأب دأبك وليس هذا كل ما عندي ، بل إنك لتعمل ولا عائق لك يثنيك عما أنت آخذ فيه ، أما أنا فأعمل كما تعمل في حين أنهض بأعباء الحمل والوضع والحضانة والتربية ، فأغالب عامل التعب والألم وأنت تنوء بواجبٍ منها ، ولا أراني قانعة بأن أكون مثلك ، فإني لأصلب منك عوداً وأشدّ

جلداً وأجمل منظراً وأحد ذكاءً

نساء في حياة العقاد:

هذا، وبعد العرض السريع للصفات التي ألحقها العقاد بالمرأة من خلال أدبه، لابد لي من وقفة سريعة مع نساء عرفهن العقاد وارتبط بهن في حياته. - ففي قصته (سارة)، تجد أن محبوبة العقاد سارة لم تكن تعرف للحياء سبيلاً شغلها جواذب الجسد قبل أن تفقه معناها وتسمع باسمها ومسمماها، فلما كانت بنيتة دارجة في المدرسة ذهبت يوماً إلى كرسي الاعتراف تستغفر الكاهن عن مخالفة وصية من الوصايا العشر التي حفظتها وتتوب عن مغارفة الخطيئة التي دعوها في المدرسة (متعة أو ترفاً) - على سبيل الكناية، فذعر الكاهن ولم يصدق ما يسمع، واستعادها مرة بعد مرة ماذا؟؟؟ فيما دون العاشرة وبين جدران المدرسة ليس فيها إلا البنات ولا تزال بنيتة لم يكعب ثدياها وتغترف أم الخطايا التي يغترفها النساء والرجال؟ (39) هذه هي سارة إحدى النساء اللاتي عرفهن العقاد، عرفت طريقها للخطيئة وهي طفلة لم تتجاوز العاشرة، والعقاد نفسه يذكر لنا أنها كانت تزوره دون تكلف وتصحبه أينما أراد، دون أن تلتفت إلى العرف والمبادئ والأخلاق، وتذهب بها الجراءة أن تعترف بأن علاقتها بالعقاد لم تكن الأولى، وتعترف بلا خجل بإيمانها بصداقة الرجال دون النساء وخلوتهم بها هنا وهناك (40)

فالعقاد معذور إن وصفها بالشذوذ والتخلي عن القيم والمبادئ، فهي وثنية بكل المقاييس، ومعذور أيضاً إن وصفها بكل الصفات الدنيئة التي تتمثل فيها وتتجسد في شخصها، فها هو ذا يقول عنها: « هي من ذوات الملامح والوجوه اللواتي لا يطالعنك بمنظر واحد في محضرين متتاليين - تراها مرة فأنت مع طفلة لاهية، تفتح عينيها البريئتين في دهشة الطفولة و سذاجة الفطرة بغير كلفة ولا رياء، وتراها بعد حين - وقد تراها في يومها - فأنت مع عجوز مأكرة أفنت حياتها في مرامي كيد النساء ودهاء الرجال، تضحك ضحكة فتعرض لك وجهاً لا يصلح لغير الشهوات، وضحكة أخرى - وقد تكون على إثر الأولى - فذاك عقل يضحك ولب يسخر » (41)

إذن كيف للعقاد أن يعيب على المرأة التناقض، وقد استولى قلبه على امرأة بهذه الصفات المتناقضة؟؟؟ وكل نساء العقاد اللاتي عرفهن لم يخرجن من هذا المسار، فهن شبهات (بسارة) وإن كان لبعضهم بقية من حياء مثل (مي زيادة) و(هدية الكروان).

لكن الذي لا يُعقل أن يجعل العقاد هؤلاء النسوة مثالاً لكل نساء العالم فيصدر الحكم عليهن بالسلوك السافل الدنيء، ثم إن العقاد نفسه يدرك مكانتهن جيداً، لذلك وجدناه يصف إحدى محبوباته (الممثلة) بقوله

لوقيل بنت الهوى صدقتهم في المقال
ورثه في السخاء وفي شيوخ النوال
لوكان فيك بقائي لم تخطري لي ببال

من بالهوى يبالي
كوفي إذن حيث كنتي
قد هنتِ والله هنتِ

صفات المرأة في أدب العقاد

خذي عشيقين مثلي بل خذي الناس طرا
يلقاك هذا باليل وذاك يلقاك ظهرا
ان تخدعيني رب نبل يخدعك نذلان مكرا
وتشري الجام مرا
حتى يقال جننت
قد هنت والله هنت⁽⁴²⁾

فهذه الممثلة خائنة ولوع بالملذات لا تحفظ جسدها أيام الغياب ومادامت تلك صفاتها فحري بالعقاد أن يصفها بكل الصفات السابقة الذكر، ولكن ليس من حقه أن يعمم هذه الصفات على جميع النساء، إذن هذه هي الممثلة كما عرفها العقاد غادرة غاوية، ويقول فيها أيضاً

هذي فتاتي هذه هي لا خلاف ولا اشتباه
هي في بديع قوامها هي في الصبا هي في حلاه
هي في غوايتها وآه من غوايتها وآه

لا تخدعني يابنية بالوفاء من اللسان
خنا وخنتي ولا أقول سلي فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معا والآن نحن الباقيان⁽⁴³⁾
كما يصفها بعدم الوفاء إذ يقول:
هيا أسأليني واسمعي مني الجواب بلا مرء
أوفيتي لي؟ كلا لكني وفيت لك الجزاء
وكذاك أنتي وإن حلفتي وآه من حلف النساء⁽⁴⁴⁾

والملاحظة الجديرة بالذكر أعلاه قوله (وآه من حلف النساء) إذ كان الأجدر أن يقول (حلفك يا سمراء) بدلاً من (حلف النساء) - لأن الممثلة كانت تدعى السمراء، لكنه العقاد يأخذ صفات محبوباته فيجعلها قاعدة عامة تشمل جميع النساء

ويكفي هنا ندحض تعميم آراء العقاد على المرأة بأن نذكره بمحبوبته (صاحبة الكروان) - الجدير بالذكر أن العقاد ترجم حبه لهذه الفتاة في ديوان أسماه (هدية الكروان) - كيف وصف بنفسه قداستها وعفتها وطهرها واعتدالها ووفائها (43) فبعد أن ملأت تلك المحبوبة حياة العقاد بهجة وضياء، وأخذت تحتل من قلبه الكبير المكان الذي كانت تتربع فيه سارة، فجأة يهدد هذا الهيام - سفر تلك المحبوبة إلى الصعيد في زيارة لبعض أهلها، فكانت خلال غيابها وفيه لحبها تراسل محبوبها وتفقدته (45)

فالعقاد نجده رغم وفاء محبوبته هذه يصفها بالخيانة وعدم الوفاء
خل الملام فليس يثنيها حب الخداع طبيعة فيها
ألا يكون حفظ هذه المحبوبة لعده حتى في غيابها عنه ومراسلتها له أثناء البعد - ألا يكون ذلك دليلاً على وفائها، فلماذا يا ترى جردها من هذه الصفة، ربما لأنها من النوع المعتدل الذي يعطي بقدر على

خلاف محبوبته سارة والتي كانت ولوعاً بالملذات

كما نذكره بـ (مي زيادة) التي هي واحدة ممن عشقهن وهام بهن كيف كانت عفيفة طاهرة شريفة بعيدة عن اللهو والاغواء وكانت إذا غازلها العقاد مجرد مغازلة - تومي له بأصبعها كالمندرة المتوعدة (46) فيبدو أن مي لعبت أخطر دور في حياة العقاد، لأنها أعطته من السعادة ما لم يكن يخطر له على بال، ولكنها وقفت أمامه نداءً لند وناوأته رجولته وسطوته وكبريائه، وصدمت أحلام العقاد بفرديتها واستغلالها وشبابها المتأنق المدرك لأصول العلاقات (47)

فالعقاد إذن أصبح محبباً لـ (مي) بكل ما في الكلمة من معانٍ وموحيات، وإذا ما أحب العقاد فلا بد من أن يكون لحبه ثمرة تظفي غليله الذي احترق به قلبه وتتنزه بها أحاسيسه، ومن هنا نراه يتلهف لتقبيل يد حبيبته، ويعد منعها له غضباً أو دلالاً أو خوفاً من الرقيب، فيقول:

صافحيني ألا مصافحة اليوم ولا قبلة على الكف عجلي
أغضبا تحمئها أم دلالاً أم حذار الرقيب تأنين خجلي⁽⁴⁸⁾

ويزداد تلهف العقاد على أن يقطف الفاكهة المحرمة، فهو لا يرضى من محبوبته أن يكون الحب طاهراً فقط، (كيف لا وهي وعيناها تحيران بما فيهما من شعاع وأنفها الذي يجمل تقاسيم وجهه، الذي يحتل فيه الفم الوردي عطر أنوثتها وبسمة فمها) (49) بل يريد منها أن تملأ قلبه بالحب الطاهر والحب الملتهب المتقد، ولكن ممن يريد العقاد أن يخطف تلك الفاكهة؟ من مي زيادة التي خلقت راهبة في دير - على حد تعبير العقاد نفسه (50) - أمن هذه يريد أن يخطف الفاكهة كلا وألف كلا، بل إنها إذا تعدى حدوده نصبت من نفسها معلمة له وأشارت له ليقف عند حدوده (51)

هذه هي مي نراها تقف للعقاد بكل قوة وصرامة تقف له كالمندرة المتوعدة، أولاً يكفي هذا بأن يكون دليلاً على قوة المرأة لا ضعفها؟! وبعد كل هذه الصفات التي الحقها العقاد بالمرأة وأغضبها بها، يرجع لينصفها حقها، في رده على (أوتوبوتجر) الألماني الذي وصف المرأة بالقساوة وبلادة الحس مستنداً على ذلك بأنها تستطيع أن ترافق المرضى وتصبر على خدمة المصابين. يقول العقاد: (وأولى ذلك عندي أن يكون دليلاً على الاستغراق في عاطفة الرحمة لا الخلو منها ... إلى أن يقول: إن الشفقة إذا لجت بصاحبها فقد ينسى ألم المعذب الذي حرك شفقتة حباً لإنقاذه وتخفيف ألمه، وقد يصبر على رؤيته في أشد ساعات الأم والحزن) (52)

ومما يعضد دفاع العقاد عن المرأة رده على علقمة بن عبدة في أبياته التي يقول فيها

إِنْ تَسَأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ
إِذَا سَابَ رَأْسَ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبٌ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْتَهُ وَشَرَّحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ

يقول العقاد في هذا المجال مدافعاً عن المرأة: تحب المرأة الشباب لأنه نفحة الخلود، وتحب المال لأن به تثبت جدارة الرجل، ولا لوم عليها أن تريد ثراء المال ولا تعدل به الفقر والفاقة⁽⁵³⁾ وفوق كل هذا وذاك نجده صاحب رأي خاص في مسألة نزول المرأة إلى ميدان العمل، حيث إنه لا يمانع في شغل المرأة - فهذا حق من حقوقها - لكنه الشغل الذي يتفق واستعدادها الطبيعي لرعاية البيت والأئومة⁽⁵⁴⁾ طويلة هي قصة العقاد مع المرأة، ولعله لخصها لنا في سطور ضمنها قصته الوحيدة (سارة) حين

صفات المرأة في أدب العقاد

قال: (حواء أخرجت الرجل من جنة وبناتها كل يوم يُخْرِجُن من جنات ... فهل المرأة ضرة الجنة تغار منها غيرة الضرائر؟ لا ندري ولكنها هي المرأة أبداً لا تريد للرجل أن ينعم بغير نعيمها أو يسعد بغير سعادتها، وليس يعينها أن تفرح معه كما يعينها أن تكون سبب فرحه وينبوع سعادته دون كل ينبوع، ربما أرضاها أن تكون سبب ألمه وألمها، ولم يرضها أن تشاركه السعادة الوافية، إن كان للسعادة سبب سواها (55) وجملة ما يمكن أن يقال عن المرأة: إنها تريد في كل الحالات أن تكون شغل الرجل الشاغل وقد كانت من واقع أدب العقاد ... فهو إن وصفها بتلك الصفات ففي نظره هي الدنيا بكل محاسنها، هي الدنيا بكل ما تزخر من جمال وقبح وفرح وحزن هي الدنيا.. يقول:

ماذا من الدنيا - لعمرى - أريد	انتِ هي الدنيا فهل من مزيد؟
فيك لنا نور ونار معا	وأنجم زهر وأفق بعيد
وفيك روض مسفر عاطر	وجوهر حر ودر نضيد
ونشوة الخمر إذا قُوبلت	نشوة منك متاع زهيد
وألف إن لم تكن نجواه من	نجواك لغو باطل لا يفيد ⁽⁵⁶⁾
وعلى كل فالعقاد أحب المرأة، ومهما يقسو عليها فسرعان ما يعود ليبرر تلك القسوة	
أكذبي مرة أو	فاكذبيني مرتين
لف ألف من أعاجيب	بك في غش ومين
لن تبديد الفارق الخالد	يا قسوة عيني
والسماوات التي يب	نك في اللب وبيني

اكذبيني واكذبيني	كلما شئت اكذبيني
ماغناء اللب عندي	إن أبي أن تخدعيني
أنا في ثروة وفر	منه مهما تسلبيني
انقصنيها أي خير؟	درهماً أو درهمين ⁽⁵⁷⁾

بعد هذا العرض السريع لآراء العقاد حول المرأة، نقول: إذا كان العقاد قد هاجم المرأة بقسوة في كتبه ومقالاته، حتى حاول أن يسلبها أخص صفاتها حين قال: (تضحيات الأمومة تتساوى فيها مع بعض إناث الحيوان وليست فضلاً لها أو فضيلة) (58) فإن هذا الموقف يتلاشى تماماً في شعره وإذا به يعتذر إليها ويتحمل قسوتها وتدللها ويسمح لنفسه وهو الشامخ المعتر بكرامته أن يقبل يديها اللتين تجرحانه

أهجوك يا أكرم من أمدح	ومن باطرائي لها أصدح
قاسية انتي ولكنني	أقبل الكف التي تجرح
وأعظم القسوة تلك التي	يلهو بها المجروح بل يفرح ⁽⁵⁹⁾

ونقول أيضاً: سواء اهاجم العقاد المرأة أو هادنها فقد دان لها وجاش بالدمع وما ارتوى يقول: وأشكوه مايجبيني فينفر غاضباً وأعطفه نحوي فيعطف راضياً

ولما تقضى الليل إلا أقله وحن التنائي جشت بالدمع باكيا
ثم أليس هي المرأة التي جعلت العقاد يشدو قائلاً
وبي سكر تملكني وأعجب كيف بي سكر
رددت الخمر عن شفتي لعل جمالك الخمر

نعم أنتِ الرحيق لنا وأنتِ النور والعطر
وأنتِ السحر مقتدراً وهل غير الهوى سحر؟

وعندي أن ليس للمرأة أن تغضب من العقاد، بل عليها أن تكبره لأنه وقف إلى جانبها في العام 1912، فنادى بتعليمها تعليماً عاماً لا نسوياً، صاعداً بها إلى الأفق الأعلى من الثقافة الإنسانية الرحبة

خاتمة:

جمعت هذه الورقة بالوصف والتحليل آراء العقاد في المرأة، وتعميمه المغالي فيما وصفهن به من صفات رذيلة: كالرياء والخيانة وعدم الوفاء ...، معتمداً فيما ذهب إليه أن من بين النساء اللاتي عرفهن العقاد من لا يعرفن للحياء سبيلاً، ومنهن الضعيفة المتخاذلة التي لا سند لها سوى الرجل؛ فكان ذلك مدعاة له ليعمّم آراءه على كل النساء.

النتائج:

من خلال هذا العرض توصلت الدراسة إلى النتائج التالية
- إن العقاد في علاقته بالمرأة لم يهتم بالصفات الجسدية والتشبيهات الحسية، بل كان جل اهتمامه بالصفات الروحية، حيث لجأ إلى الروح يكشف جمالها
- العقاد أحب المرأة بكل نبض من نبضات قلبه، وكان الحب الشريف الطاهر عنده (الحب الفردي)، فكان لا يرضى أن تكون المرأة مشاعة بين الرجال، وإذا أحب المرأة واكتشف أن لها علاقة برجل غيره - تركها، وهذا ما فعله مع بعض محبوباته، فوصفهن بالخيانة
- إن تعميم العقاد لآرائه حول المرأة على جميع النساء كان مبنياً أساساً على أن نوعية النساء اللاتي عرفهن كن من هذا القبيل

التوصيات:

فيما يتعلق بموضوع المرأة في أدب العقاد نوصي بالآتي
1- دراسة فلسفة الجمال عند العقاد
2- ويمكن إفراد دراسة مستقلة لفلسفة الحب عنده ومقارنة ذلك بالصفات التي أحققها بالمرأة
3- كما نوصي بإفراد دراسة خاصة لمن عرفهن العقاد - كل على حدة - ودراسة صفات هؤلاء النسوة لمعرفة ما إذا كان العقاد محققاً

المصادر والمراجع:

- (1) سورة الروم: آية 21
- (2) عباس محمود العقاد - المرأة في القرآن - وكالة الصحافة العربية (ناشرون) - الجيزة - ص5
- (3) عباس محمود العقاد ، هذه الشجرة ، دار النهضة للطباعة والنشر مصر ، الفجالة القاهرة ص 4
- (4) طفيل الغنوي ، ديوانه ، شرح الأصمعي ، تحقيق حسان فلاح أوغلي ، ص 82
- (5) هذه الشجرة ص 5
- (6) السابق، ص 9
- (7) سورة طه ، آية 121
- (8) سورة الجن ، آية 23
- (9) سورة البقرة ، آية 236
- (10) سورة البقرة ، آية 37
- (11) سورة طه ، آية 122
- (12) سورة الأعراف ، آية 22
- (13) سورة الأعراف ، آية 19
- (14) الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي ، التفسير الكبير ، منشورات دار الكتب العلمية بيروت ، ط2 2004م - 1425هـ ، ج 3 ، ص 11- 12
- (15) سورة الأعراف ، آية 20
- (16) تلخيص الحبير - ابن حجر العسقلاني - ج ١ - الصفحة ٣٠٧
- (17) كتاب الأربعين - الحسن بن سفيان النسوي - الصفحة ٥٨
- (18) التفسير الكبير ، ج3 ، ص 12-14
- (19) سورة الأعراف الآيات 20 ، 21 ، 22
- (20) سورة البقرة ، آية 25-26
- (12) د عبدالحى دياب - المرأة في حياة العقاد - ص 344
- (22) عباس محمود العقاد - ديوان عابر سبيل - نهضة مصر - الجزء السابع - ص92
- (23) عباس محمود العقاد - خمسة دواوين للعقاد - الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1973-
- الجزء الثاني - أعاصير مغرب - ص134
- (24) د عبدالحى دياب - المرأة في حياة العقاد - ص 346
- (25) العقاد - هذه الشجرة - ص80
- (26) هذه الشجرة ، ص56
- (27) العقاد - مطالعات في الكتب والحياة - دار المعارف - الطبعة الثالثة - 1386 ، 1966 - ص149

- (82) هذه الشجرة ، ص 63
- (92) عباس محمود العقاد - هذه الشجرة - دار نهضة مصر للطباعة والنشر 2008 - الطبعة 4- ص6
- (30) عباس محمود العقاد - مراجعات في الأدب والفنون - المكتبة العصرية - 1966- الطبعة 1 -ص255
- (31) هذه الشجرة ، ص 6
- (32) د عبدالحى دياب - المرأة في حياة العقاد - الناشر القاهرة - دار الشعب - 1968 - ص 338
- (33) العقاد - بين الكتب والناس - الطبعة الثانية - دار المعارف - 1985 - ص 53
- (34) السابق - ص 54
- (35) هذه الشجرة، ص 41
- (36) السابق ، ص 42
- (73) السابق ، الصفحة نفسها
- (83) العقاد - بعد الأعاصير - ص 816
- (39) العقاد- سارة - الطبعة الثالثة - دار المعارف - ص 84
- (04) السابق- ص 85 وما بعدها
- (41) السابق ، ص 99
- (42) خمسة دواوين للعقاد - أعاصير مغرب - ص 135
- (34) خمسة دواوين للعقاد - أعاصير مغرب - ص 127
- (44) ديوان العقاد - بعد الأعاصير - ص 778
- (54) العقاد- هديه الكروان - الطبعة 1 - دار العودة للنشر - 1982 - ص 54 وما بعدها
- (46) عامر العقاد - غراميات العقاد - الطبعة الأولى - 1971- دار الثقافة العربية - مصر - ص 58 وما بعدها و المرأة في حياة العقاد - د عبدالحى دياب - ص 86
- (47) المرأة في حياة العقاد ، ص 133
- (48) ديوان العقاد ، المجلد الأول ، ص 312
- (49) دواد سكاكيني ، مي زيادة في حياتها وآثارها ، دار المعارف ، ص 34
- (50) راجع سارة ، ص 144
- (51) المرأة في حياة العقاد ، ص 86
- (52) مطالعات في الكتب والحياة - ص 165
- (53) المرأة في حياة العقاد - ص 342
- (54) عامر العقاد - لمحات في حياة العقاد المجهولة - بيروت - دار الكتاب العربي - 1968- الطبعة 1 - ص 183
- (55) سارة - ص 128

صفات المرأة في أدب العقاد

- (56) ديوان العقاد - ج4 - أشجان الليل - دار نهضة مصر للطباعة والنشر ص 303
- (75) خمسة دواوين - العقاد - أعاصير مغرب - ص117
- (85) أحمد عبد السلام ضيف - مع عباس محمود العقاد - الطبعة الخامسة - دار المعارف -
1988-ص 152
- (95) أشجان الليل - ص 302